

ТЕОЛОГИЯ

УДК 2

TO A REASONABLE DIALOGUE BETWEEN CULTURES (ON THE EXAMPLE OF ORTHODOX CHRISTIAN AND MUSLIM WORLDS)

نحو حوار عقلاني بين الحضارات (العالمان المسيحي والإسلامي نموذجاً)

Suhail Farah

Russian Academy of Education, Lebanese University, Open University "Dialogue of civilizations"

gsfarah@hotmail.com

Submission Date: 02.03.2018

المخلص

أن هذا البحث مكرس لتحليل الحوار الثقافي وأمكانات تحقيقه بين ممثلي الديانتين العالميتين – الإسلام والمسيحية – على أساس الاحترام المتبادل والتفاهم المتبادل وعلاقة التسامح بين بعضهم البعض. يكشف مؤلف البحث سلسلة من العوائق النفسية، التي ينبغي إزالتها لبناء هذا الحوار الثقافي. يوضح الباحث بأن حوار الخبرات من وجهة نظر الطرق الاجتماعية بهدف التطوير البناء والكشف المتواصل للقدرات، هو ضروري للشعور بالواقع والوجود وأدراكه. وعند ذلك، فإن الضرورة الحياتية تقدم الاعتراف المضمون بالاصول التاريخية لجميع الخلافات والاختلافات الموجودة. أن جميع الأوضاع التاريخية المطروحة في هذا المقال، تُعزز بأشهاد من القرآن الكريم والتوراة، ويشار في البحث إلى أن الحوار الإيجابي فقط بين ممثلي العالمين الإسلامي والمسيحي، سيساعد على تطوير حضارتنا. ويلاحظ في المقال أن الحوار العقلي العقلاني ممكن في مختلف مجالات النشاط البشري – الثقافي و الفلسفي والديني والروحي والسياسي والاقتصادي، وتكمن أهميتها في السعي الثابت نحو إغناء العلاقات الانسانية والروحية المتبادلة بين ممثلي العالمين الإسلامي والمسيحي.

الكلمات المفتاحية: الحوار، العالم المسيحي، العالم الإسلامي، التسامح، الحضارة، التقدم.

Abstract

The given study is devoted to the analysis of the cultural dialog and the possibilities of its realization between the representatives of the two world religions – Islam and Christianity – on the foundations of mutual respect, mutual understanding and tolerant attitude to each other. The author of the research studies in detail the

numerous psychological barriers, destruction of which is necessary for such cultural dialog. The author underlines that the dialog between the two experiences, based on sociological approaches with the aim of constructive and creative development, sustainable fulfillment of one's potential, is crucially important for the awareness and cognition of the reality and existence. At the same time, life demands unconditional acceptance of the current conflicts and mistakes. All the theoretical claims that are made in this paper are confirmed by the citations from the Holy Quran and Bible. It is pointed out in the study that only positive dialog between the Orthodox Christian and Islamic worlds will lead to the development of our civilization. The paper notes that the rational and sensible dialog is a possibility in various fields of human activity – cultural, philosophical, religious, spiritual, political, economic – and its value is in the aspiration for enriching human and spiritual interaction between the Christian and Islamic worlds.

Keywords: *the dialog, Christian World, Islamic World, tolerance, civilization, progress*

For citation: *Suhail, F. (2018). نحو حوار عقلاني بين الحضارت) العالمان المسيحي (والإسلامي نموذجاً [To a reasonable dialogue between cultures (on the example of Orthodox Christian and Muslim Worlds]. Eurasian Arabic Studies, 3, 92-104.*

المقدمة

الحوار أرخيولوجيا المصطلح

للحوار أصوله وشروطه وعوائقه ومرتجاه بين العالمين المسيحي والإسلامي ألخصها بالنقاط التالية :

أولاً: قبل أن يبدأ الحوار العقلاني مع الآخر ، يتوجب بداية أن يجريه المرء مع نفسه. يسعى فيه لتحليل الجوانب المسالمة والأخرى الردعية في قوله وفعله . فالحوار الذي يركز على منطق العقل ومخزون العاطفة ، يبدأ بالمقارنة المنهجية بين الشك واليقين بين فكرة وفكرة وبين سلوك وسلوك . وكل هذا يدور ضمن دائرة الإنسان الواحد، والعقيدة الواحدة والدين الواحد والثقافة الواحدة . والهدف من ذلك ، ليس "المونولوج" النرجسي مع الذات بل التوق الدائم للذات من أجل توسيع المقاربة العقلانية النقدية للذات نفسها ، وتوسيع مساحات الحكمة والسلام والمحبة ضمن الدائرة الواحدة لتعميمها لاحقاً مع الدائرة أو الدوائر الأخرى . فمن أجل تقريب المسافة بين حكمة العقل ودفء القلب ، يتوجب على الإنسان أن يعرف نفسه . هكذا علمنا أب الفلاسفة سقراط . فالمعرفة العميقة المعقلنة للذات والمنتشبة بروحانية القيم الإنسانية المشتركة هي المفتاح للولوج إلى عملية التناغم بين الإنسان كفرد وبين إخوته البشر، وبين هؤلاء ومحيطهم الطبيعي الكوني .

ثانياً : لا بد أن يكون في الحوار شريك منفتح . لأن في الحوار المنفتح تتلاقى روح الطرفين ومعهما رغبتهما المشتركة في المزيد من التقارب والتفاعل . في الحوار تتحقق الشراكة المتبادلة بين المتكلمين . فكل طرف يحمل أفكاره وتجاربه ونصوصه وحقائقه . وفن الحوار هو القدرة على تبين حقيقة وجهة نظر سلوكية الآخر . فأفكارنا وحقائقنا الدينية و غير الدينية كمسيحيين ومسلمين يمكن تصحيحها وتعميقها من خلال التواصل الدافئ واللقاء الخلاق مع الأفكار والحقائق التي يحملها المحاور الآخر . والحوار في هذا السياق هو الولوج الحقيقي في توسيع مساحات المعرفة والتحرر من الأفكار المغلوطة عن الذات والآخر . كما أن الحقيقة كما يقول أحد حكماء المشرق ، المتروبوليت جورج خضر "لا يلدها قلب مغلق ، إنها تنزل على فكرين الواحد منهما على الآخر" (خضر، 1994).

ثالثاً: المساواة أمام نقاط القوة ونقاط الضعف في الشخصيتين الإسلامية والمسيحية أمام الإنسان كقيمة كونية وأمام خالق الإنسان والكون . فكل منا نقاط قوته وضعفه حيال كل المسائل الوجودية الحياتية .

رابعاً: الاحترام التام للآخر وقبوله والإصغاء إليه . فالحوار لا يقوم على محاولة إقناع الآخر بصحة أقواله ونصوصه وتجاربه من خلال دحض أقوال ونصوص وتجارب الآخر ، بل يتوجب أن يستند إلى التوضيح والفهم والتعلم والتواضع . فالمبدأ السيكولوجي والسلوكي الذي يفترض أن يسير علاقتنا مع ذاتنا الثقافية ومع الذات الثقافية للآخر هو الإقرار بمبادئ الموضوعية والنسبية في النظرة إلى إسهام كل واحد منا في صنع الحضارة . وهذا الذي يفرض دائماً على ألا توهم الذات الفردية والجماعية لحضارة ما نفسها باستبعاد الآخر وإقصائه وتحقيره وعدم احترامه ، بل التواصل الطوعي والاقتراب منه والتعاطف الفعلي معه والإسهام العملي في حل مصاعبه والإعجاب بمنجزاته التاريخية والحاضرة .

خامساً : يفترض أن يكون المحاور ذو إرادة حرة . فالحوار يستدعي من صاحبه الاستقلالية في الرأي والحكمة والاطلاع المعرفي الواسع، لا التقيد الصارم بحرفية النصوص ، والطاعة العمياء لحراس العقيدة و الاستسلام لمخلفات الذاكرة التاريخية المليئة بالمشاحنات . فقبل أن يأتي المرء المرء للحوار مع الآخر ينبغي عليه أن يطهر عقله ونفسه، متحرراً من عقده وعصبيته وتقوقعه النرجسي حول ذاته الدينية والدنيوية . فالحوار يعانق أصحابه عندما يدخلون "معبد" اللقاء وهم متوجون بالعقل الواسع والقلب الحار والإرادة الحرة . وهذا يؤدي لا محالة إلى معرفة أفضل للذات من خلال مقارنتها مع الذات الأخرى ، ويؤدي أيضاً إلى تذوق أعمق للكنوز الثقافية والروحية التي أنتجتها وتنتجها العقول المبدعة والقلوب الطاهرة في العالمين الأرثوذكسي و الإسلامي .(*) في هذا البحث يتم التركيز على الشق الأرثوذكسي في المدى المسيحي العام .

ملاحظة من المؤلف س. ف.)

سادساً: يتوجب أن يشمل الحوار كافة المستويات والمساحات والتجارب الإنسانية في العالمين لعل أبرزها:

- أ- حوار المفاهيم حول القيم الروحية والأخلاقية . وذلك بهدف السعي الحثيث لتفهم خطاب الآخر الديني والفكري والثقافي والتاريخي . وهذا بدوره يساهم في التجديد الدائم للغة المعرفة ويعمق التفاهم والاحترام المتبادل .
- ب- حوار الدنيويات ، أي إقامة شبكة واسعة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في سائر الحقول العلمية للحياة ، حيث تتعاون فيها المصالح وتتكامل .
- ج- حوار المساجلة والنقاش و " المناقشة " الديمقراطية ، من أجل تنشيط الروح العقلانية النقدية البناءة للذات والآخر .
- د- حوار التجارب أي إخضاع التجارب الإيجابية والسلبية للمقاربة الفلسفية والسوسيولوجية ، بهدف التطوير الإيجابي والكشف المتواصل من أجل تلمس حقائق الوجود والواقع . فالضرورة الحياتية تقتضي القبول بأمانة بالجذور التاريخية للخلافات والاعتراف بالأخطاء . وهذه خطوة هامة من أجل التئام الجراح التاريخية وإرساء الثقة بالحاضر والمستقبل .
- سابعاً: جدلية التأثير والتأثير في الماضي والحاضر والمستقبل . رغم أن سمة الوجود هي الصراع بين الأقوى والأضعف . هي السمة التي يحرص التركيز عليها أنصار الفلسفة الدارينية الاجتماعية ودعاة الصراع الأزلي بين الحضارات والأديان ، فإن على الذوات المفكرة في العالمين الأرثوذكسي والإسلامي أن تركز على الخط الآخر في العلاقة بين الأديان والحضارات وهو خط التفاعل الإيجابي . و أن يتم التركيز على أن جدلية الحياة مبنية بدورها على علاقة الأنا الإيجابية مع الآخر ، على عملية التأثير والتأثير . فكل علاقة تفاعلية إيجابية ، لا يمكنها إلا أن تؤدي إلى تركيبة جديدة أغنى ، وتزداد فيها مساحة الإيجابيات والجماليات والإنسانيات والروحانيات . وتجارب التفاعل الإيجابي بين الحضارات على مستوى فنون العمارة والرسم وكافة الفنون الأخرى، وتبادل الخبرات في إدارة الاقتصاد والمجتمع ، وأيضاً على مستوى الزيجات المختلطة والاختلاط الودي المشترك ، ، لهي خير دليل على أن عملية التفاعل الإيجابي في التاريخ يمكن تكرارها بشكل أوسع في الحاضر وابتكار طرق أنجح لصنع المستقبل المشترك .
- هذه هي المبادئ السبعة التي قد تشكل الصورة الأنجع التي تبدو لأول وهلة وكأنها مثالية يصعب كثيراً تحقيقها ، لأن أمام الحوار ، عوائق أبيضتمولوجية وشروط حياتية من داخل العالمين وفي علاقة كل عالم بالآخر ، وهذا إلى حد ما صحيح . بيد أن العلاقة بين العالمين الأرثوذكسي والإسلامي فيها العديد من القواسم المشتركة والآمال المرجوة المشتركة لتعميم مثل هكذا ثقافة للحوار . ولنحاول تبيان كل نقطة منهما .

المنهجية ومادة البحث

العوائق الأبيضتمولوجية و الحياتية

لكل عالم لغته أو لغاته، ودينه، ونمط تفكيره وسلوكيته أو بكلمة أخرى رصيده المعرفي و تجربته الحياتية. وهو بهذا متمايز لا بل مختلف عن الآخر. وهذه ظاهرة طبيعية متأصلة في التركيبة

البشرية الطبيعية. هي جزء من حالة التنوع وهي مصدر غنى وجمال و تكامل بين سكان العالمين الأرثوذكسي والإسلامي وسكان هذا الكوكب ككل. فكما يشير فريق البحث الإسلامي – المسيحي "إن الله خلقنا مختلفين ودعانا إلى التعاون والحوار، لكي نعمل هذه الدنيا بالعدل في العالم العربي والسلام" (النهار، 2002).

ورغم إن الاختلاف يشكل العائق الطبيعي أمام أن يتماهى كل طرف مع الآخر، إلا أنه يفرض نفسه على أطراف الحوار، ليشكل الحوار بدوره واجباً حياتياً، واجباً أخلاقياً ودينيّاً، فهو لكونه حواراً بين أناس مختلفين، فإنه بحد ذاته مغامرة، بعني أنه يحصل بين بشر متنوعي المشارب الاتنية والثقافية و الروحية، ويخضع بدوره لشروط قد تضع عوائق ابيستومولوجية و قيوداً على الحرية والعدالة والسلام بين العالمين الأرثوذكسي والإسلامي.

العائق الثاني قد يكون الأساسي حسب رأي، لا يكمن في ظاهرة أو فلسفة الاختلاف بين الطرفين، بل انه يتمثل قبل كل شيء بمعضلتين أساسيتين. الأولى تكمن في غياب النظرة الأنثروبولوجية للإنسان. والثانية غياب النظرة العقلانية للذات.

فالمقاربة الأنثروبولوجية للإنسان تنظر الى التركيبة البشرية المكونة من عناصر بيولوجية ونفسية وعقلية حتى روحية واحدة. وما ظاهرة التنوع والاختلاف إلا مظاهر لجوهر إنساني واحد. وإذا أردنا أن نخضع الوعي الديني والثقافي للتحليل الفلسفي والأنثروبولوجي، فلم يعد يسكننا هاجس مكن الحقيقة أو الخطأ في الخيارات، بقدر ما يهمننا ما تفرزه السلوكية الحياتية والثقافية من طاقة ايجابية أو سلبية. فالمقاربة الفلسفية و الأنثروبولوجية للآديان على سبيل المثال قد تكون فيها مساحة الموضوعية أوسع من أي مقارنة أخرى تحمل طابعاً ضيقاً. هي تساعد على فهم الروح البشرية الواحدة الكامنة وراء خصوصية هذا الدين أو الشعب أو الثقافة.

وفي غياب النظرة العقلانية النقدية للذات، يكون المرء أسير تاريخه، ونصه ولغته الدينية والدينية. مما يجعله مع الزمن يكرر أخطاءه ويجتر أو هامه ويعمق من رؤيته النرجسية الذاتية لهويته وحضارته.

إن غياب هاتين النظرتين نستمدّها بوضوح ليس فقط لدى سواد الناس بين عامة المؤمنين في العالمين الإسلامي والأرثوذكسي، بل إن غيابها بارز في مقاربة النخب الدينية والثقافية التي تقود الرأي وتفبرك الوعي والأذواق لدى شعوبها، وهنا مكن الخطر الأكبر. لأن في هذا الغياب يتشكل العائق الأبرز للرؤية الموضوعية العلمية الشاملة للإنسان والدين والثقافة.

العائق الثالث البارز هو ثقل الذاكرة التاريخية على الطرفين. فالخلافات بين الأرثوذكس والمسلمين لها جذور متعلقة بتمايز النصوص والطقوس، ومرتبطة بالصراعات التي دارت بينهما على مدى عصور كثيرة على مناطق النفوذ، والتي أدت الى صراعات ومشاحنات وحروب كثيرة. وإذا أردنا أن نجري توضيحاً سريعاً للعلاقة التاريخية بين العالمين الأرثوذكسي والإسلامي فإن المرحلة الأولى شهدت صراعات دموية بين المسلمين والبيزنطيين هيمن عليها المعرفة المنقوصة والتجاهل واللامبالاة حيال إيمان الآخر، والتي لم تخل أحياناً من مشاعر الازدراء والاستهتار.

تلك المرحلة انتقلت مع الزمن من الحالة الإقصائية الى الحالة التبشيرية ومن ثم تطورت في بعض المناطق إلى الحالة الحوارية الإيجابية. بيد أن انتقال الأمور من حالة إلى حالة لم يكن بنفس الوتيرة واحداً في العالمين. فهناك حالات ما زالت تذكرنا بنقاط التفجر الماضية بين الأتراك والبيزنطيين والتي برزت في السنين الخمسين الماضية في قبرص و ناغورني كاراباخ والشيشان ويوغوسلافيا وألبانيا وبعض البؤر المشتعلة في مناطق متفرقة من شمال القفقاس. وهناك حالات التعايش السلمي وحسن الجوار بين الأرثوذكس والمسلمين، والتي تشهد مساحات نجاح واسعة لها في المشرق الغربي وحوض الفولغا وبعض مقاطعات جنوب القفقاس والقسم الأوسط من روسيا. وهناك حالات من البين بين، وإن بنسب متفاوتة هنا وهناك في كل من بلغاريا ورومانيا واليونان وأوزبكستان وكازخستان وقرقيزيا وطاجكستان وتركمانيا وبعض الصقاع الروسية.

في المناطق المشتعلة نشهد ظاهرة التعصب والأصولية والإرهاب مجدها الأقصى، وفي المناطق المسالمة تنتشط حركة الحوار الإيجابي بين الجماعات المتنوعة، وفي مناطق البين بين نجد الترقب والحيرة يطفو على سطح المواقف والأحداث. وهذه المناطق والقضايا باتت معروفة للجميع. وهذا البحث لا يضع أمامه مهمة التوسع في تأويل أسبابها ونتائجها. فهذا يتطلب تواجد فريق عمل من الباحثين الكبار في الفلسفة والتاريخ والسوسيولوجيا والثقافة واللاهوت والفقه والسياسة، للانكباب على تأسيس إستراتيجية معرفية جديدة هادفة إلى الهدم التدريجي للإرث السلبي للتاريخ، وإلغاء الجدران العازلة بين الثقافتين وفي هذا السياق ومن أجل الوصول الى هذا الهدف المرغوب، من الأهمية بمكان التركيز في الإستراتيجية المعرفية المنشودة على أربعة مهام:

- أ- الدراسة المتأنية لمخلفات الذاكرة التاريخية ولقوتها الراهنة.
- ب- اتباع المنهج المقارن بعين فلسفية و أنتروبولوجية موضوعية .
- ج- دراسة حركة التجاذب بين اللغة الدينية واللغة التاريخية والفكر الذي يحمل هاتين اللغتين.
- د- تبيان مسببات حالات التوتر بين ما يقوله العقل الفلسفي و العلمي المتواضع بشكل عام وبين ما تفرزه المتخيلات الاجتماعية من أو هام ومخاوف دائمة. فالمعرفة والثقافة كما يقول المفكر م.أركون "تزداد غنى وانتشاراً ، عندما تملك معايير دقيقة لتحقيق الحق والخير والجمال و بحيث لا يكون الحق والخير والجمال حقاً وخيراً وجمالاً بالنسبة للعشيرة أو القبيلة أو المجموعة أو الجماعة أو الأمة فقط، بل بالنسبة إلى مجموع البشر" (Arkun, 1996).

العائق الرابع الذي يحول دون فتح أبواب الحوار مشرعة، هو الجهل بالنصوص والنفوس. والجهل كما يقول الفيلسوف الألماني هولباخ هو أبو الخطايا. فهناك الكثير من نقاط الخلاف بين العالمين الإسلامي والأرثوذكسي، لم يكن مصدرها الضغوطات الخارجية، أو محاولات الغزو والاقتناص التي تتلبس بثوب ديني، بل إن مصدرها هو غياب ثقافة المعرفة في جوهر النصوص الإسلامية والمسيحية التي تحضر بكثافة فيها روح المحبة والسلام والتعبد النقي لرب العالمين. وايضاً في معرفة الجوانب المشرقة والخلافة في تعاليم وسلوكيات الكبار من الصوفيين و"الهدوئين-النساك" الذين نظروا إلى الإنسان كقيمة روحية شاملة تكون على صورة الله ومثاله.

ولنتوقف قليلاً عند بعض النصوص مذكرين على سبيل المثال لا الحصر ببعض الأقوال الخالدة في الإنجيل والقرآن.

1. فالسيد المسيح يقول على لسان الرسول متى: " أحبوا أعداءكم باركوا لا عنيكم، أحسنوا الى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. فإنه يشرق شمسك على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين " (العهد الجديد – متى 5: 44، 45).

2. وفي القرآن الكريم قول مشابه لهذا الكلام النوراني. ففي سورة الحجرات آية تقول: "يا أيها الناس، أنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله خبير " (القرآن . سورة الحجرات : 13).

3. والتركيز على لغة الحوار وأخلاقياته في النصين هي كثيرة أيضاً ، نذكر القليل منها. ففي رسالة بطرس الرسول إلى المسيحيين يقول: "كونوا مستعدين لأن تقدموا جواباً مقنعاً، لكل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي في داخلكم بوداعة واحترام " (العهد الجديد. الرسالة الأولى 3: 15). أما في القرآن الكريم فهناك قول بديع " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن " (القرآن :سورة النحل 16: 125).

وبولس الرسول بدوره يتوقف عند المسألة الحيوية في روح الحوار فيقول "ليكن دائماً كلامكم كل حين بنعمة، مصلحاً بملح ... فتعرفوا كيف ينبغي لكم أن تجيبوا كل إنسان " (العهد الجديد: كولوسي 4: 6).

وفي سورة آل عمران يقول القرآن الكريم: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم " (القرآن. آل عمران : 64).

قد تطول الاستشهادات في النصين المقدسين وقد يتوفر في النص نقاط خلافية أيضاً و هي موجودة فعلاً. الفرق بين قارئ وقارئ، هو كالفرق بين المؤمن التقي والمتعصب الجاهل. فالمؤمن المتنور يحول طاقة إيمانه بما تحمله من روح المحبة في النص المقدس إلى طاقات حوار وتلاقي وتعاون وشراكة. بينما المتعصب يحول طاقات إيمانه الضعيفة وتحجر قلبه لقيم المحبة الموجودة بكثافة في النصين الى طاقات للكراهية والاعتداء. فالذين يختلفون النزاعات والصدامات الكلامية والجسدية ويؤججون الحروب ويسفكون الدماء ويمارسون كل أنواع الإرهاب من أتباع هذا الدين أو ذاك هم الذين يركزون على نقاط الخلاف الحادة في كل نص ديني حيال النص الديني الآخر. بينما الذين يسعون إلى توسيع القواسم والمساحات الإنسانية المشتركة بين مريدي أو مؤمني الأديان المتنوعة هم الذين يسعون بصدق على تأكيد طهر الرسالة السماوية للأديان المرتكزة بشكل أساسي على المحبة والعدل والسلام الداخلي والرجاء بالحياة الأخرى ليس فقط لأبناء دينهم أو ملتهم بل لأبناء البشر كلهم.

العائق الخامس هو الصراع الضاري بين المقاربة العلمانية والمقاربة الدينية لقضايا الوجود والدنيا. فغياب الاعتراف المتبادل بالحدود المعرفية والإمكانات العقلية والمادية والروحية لكل

طرف يجعل مساحات التوتر دائمة الحضور بينهما. فالفكر الديني الذي يربط المصير البشري بمشيئة خالقه، ويحاول أن يضع مسافة بين الخالق والمخلوق، وذلك لكي يحرر الوهج الرباني من انحرافات الزمان والتحويلات الدراماتيكية الدائمة في التاريخ وهذا، بلا شك شيء حسن. إلا أن هذا الفكر الديني المرتبط بهذا المذهب أو تلك الملة لم يستطع أن يعطينا صورة شاملة متكاملة عن المصير البشري، لأنه يبقى أسيراً لتأويله الضيق المذهبي وهذا ما يجعله شديد التمسك بالطقوس، وشديد الحذر من التواصل المنفتح والايجابي مع الآخر. في حين نرى في المقابل بأن الفكر العلماني يربط المصير البشري وحوار الحضارات بالمسار العام للعملية التاريخية للبشر، أي بجذلية الحركة التاريخية المتغيرة دائماً، التي تترافق مع التغير الدائم لكل أنواع الوعي الاجتماعي للبشر. الفكر العلماني بهذا المعنى يحصر مجاله في شؤون الدهر، في شؤون الدنيا فقط. وهو بهذا لا يريد أن يربط كل أشكال الوعي البشري بمرجعية نصية فوق تاريخية، فوق بشرية، أو بالمعنى الديني، بالمرجعية النصية المقدسة، الموحى بها من الله. وبهذا يضع الفكر العلماني نفسه خارج فكرة الخلاص أو الثواب والعقاب التي تشكل واحدة من الأركان الأساسية للنصين المسيحي والمسلم.

بهذا المعنى يكون كل فكر سواء أكان دينياً أم علمانياً محرراً نفسه من قيود معينة، ومقيد في الوقت نفسه بمحاذير معينة. وهذا الأمر لا يشكل فقط الحاجز المعرفي الكبير في عملية الحوار الإنساني الشامل بين العالمين الأرثوذكسي والإسلامي ككل، بل إنه يخلق الشرخ الكبير، داخل البنية الفكرية والثقافية للحضارة الواحدة والشعب الواحد، وحتى بين أبناء الدين الواحد من مؤمنين وعلمانيين.

يبدو في مثل هكذا طرح بأن الفكر الديني وكأنه أقال عقله عن حركية التواصل الخلاق مع متغيرات المعارف والعلوم والأنظمة الثقافية والأخلاقية. في حين يحصر الفكر العلماني نفسه ضمن البعد الدهري الواقعي القصير لحياة الإنسان المادية، دون أن يكمله بالبعد الروحي الذي يحضر بقوة في الفكر الديني والذي يفتح مساحات واسعة من الرجاء والحياة الأبدية للإنسان.

ما لم تقوم العقول الحوارية الحكيمة في الفكريين في هدم الهوة بين التاريخي والميتاتاريخي، بين المادي والروحي، والزمني والأبدي. فإن الشرخ سيبقى قائماً داخل كل حضارة وينعكس سلباً على كل المستويات. فالتداخل بين العقل العلمي والعقل الديني ضروري في العالمين، ليس فقط من أجل تعميم المعرفة الشاملة بل أيضاً من أجل التناغم الدائم بين الأرضي والسمائي. أو كما يقول أحد المفكرين الدينبيين في الديار الروسية، عمر أدريسوف "لا يمكن أن يكون هناك إحياء روحي بدون البحث، بدون المعرفة، بدون التفاعل والحوار الخلاق بين العلم والدين بدون الحوار بين الأديان. وكما يبدو لي فإن مشيئة الرب تحل علينا حين تتعاون الأديان والعلوم فهي تسير في اتجاه واحد وهو معرفة العالم. وطريق معرفة العالم هو الطريق إلى الله" (إدريسوف، 1996).

العائق السادس الخلط بين البعد الثقافي للدين والبعد ألقوسي والتداخل المصطنع بين السياسي والديني. كل هذا يقف حجر عثرة أمام إمكانية التعارف واللقاء الايجابي ليس بين العالمين فقط، بل

بين أبناء الشعب الواحد المنتمين إلى أديان ومذاهب متنوعة. فالبعض يخلط مثلاً بين المعرفة الدينية والوحي. فالمعرفة هي بكل بساطة القراءة البشرية للوحي. فإذا كان الدين الموحى مصدره الله فإن المعرفة أو الثقافة الدينية مصدرها البشر. والثقافة العميقة بالنصوص الدينية والعلمية تفتح أفق المرء للحوار. فبواسطة الحوار الخلاق المعتمد على ثقافة دينية واسعة تُفتح الأبواب لكل رئة دينية لكي تنتشق وجهة النظر الأخرى من أجل إضافة علامات مشرقة جديدة على فهم الحقيقة الدينية، التي هي كل متكامل تتشارك فيها كل الأطراف من أجل إتمام الصورة الإيمانية عن الحقيقة الإلهية. وما نشهده في العالمين الإسلامي والأرثوذكسي من إقامة بعض الجدران العازلة بينهما، ليس مصدره المعرفة الدينية ولا أسئلة الثقافة العلمية والوجودية للحضارة المعاصرة، ولم يكن إطلاقاً مستقى من النص الديني الموحى أو المؤول من قبل القراء الحكماء الكبار، بل إنها ما تزال تشكل، للأسف ضرورة براغماتية من ضرورات السلطات الدينية التي تريد أن تمسك بقوة برعاياها. علماً بأن سلوكية تلك السلطات التي تتمسك بمصائر المؤسسات الدينية والتي تدفع البعض منهم للانغماس في إغراءات السياسة وتلويثات الحياة الدنيا وتحديداً المادية منها، مما يجعلهم يبتعدون عن الرسالة الأخلاقية الروحانية للدين. وهذا الذي يعرض بعض رموزها في العالمين الأرثوذكسي والإسلامي للكثير من التجارب المرة التي تجعل الناس الأتقياء مؤمنين وعلمانيين يشكون بمصداقيتهم مما يبدو لهم وكأنهم يشكلون سلطة نافذة مثل بقية السلطات الدنيوية التي تضع في صدارة اعتباراتها المال والكرسي وقوة التأثير النفسي والحياتي على البشر. العائق السابع المتواجد في العالمين الإسلامي والأرثوذكسي هي الثقافة المنقوصة في الديمقراطية. فغياب الثقافة الديمقراطية والممارسة الديمقراطية في هذين العالمين يجعل معظم أنظمة الحكم منها أقرب إلى الأنظمة المتسلطة. والكثير من هذه الأنظمة التي لم تستطع أن تثبت حكمها بالاستناد إلى النظام الديمقراطي، تلجأ إلى مورثوها الديني أو السياسي القديم. ومن أجل تبرير لا بل تأييد حضورها وسياستها، فهي تمارس سياسة "التحديث" من خلال خطاب إيديولوجي وديني معين مع جمهورها الشعبي حيث تجري محاولة "توفيقية" بين اللهث وراء قيم الحضارة المادية ومبتكراتها التكنولوجية، وبين الرجوع إلى الموروث السلف، الرامي "إسلامياً" عند البعض إلى إعادة التفكير بإقامة الدولة الدينية المستوحاة من تجربة دولة "المدينة"، أو العودة "أرثوذكسياً" في الحضارة الروسية على سبيل المثال لإقامة دولة روسيا المقدسة أو روما الثالثة كما ينظر لها العديد من الكتاب الروس. كل هذا الأفكار التي لا تأخذ بعين الاعتبار لا لغة العصر ولا التركيبة الدينية والثقافية المتنوعة للنسيج الحضاري للعالمين، تجعل أفكارها في موقع النقيض أمام الحوار الخلاق بين الناس التواقون إلى التواصل والتكامل.

القواسم المشتركة

رغم وجود هذه العوائق الأبيستومولوجية والتاريخية والحياتية الراهنة فإن هناك قواسم مشتركة بين العالمين الأرثوذكسي والإسلامي تجعل نقاط الشبه بينهما موجودة في أكثر من مجال. فكل العالمين يعيشان الحلم الأبدي بالتقرب من الروح السماوية والتوجس من لعبة الإنسان العبثية في

ركضه لا بل لهته وراء إغراءات المادة في الحياة الدنيا. وهنا يحضرني قولان لحكيم من العالمين. الأول المفكر الأرثوذكسي الروسي ألكسندر بنارين الذي كرس عصارة تفكيره قبل رحيله الجسدي عن هذه الدنيا لكتابة مؤلف روحاني وعلمي هام تحت عنوان "الحضارة الأرثوذكسية في عصر العولمة". وفي إحدى فصول الكتاب يقول: "في الكونية الأرثوذكسية لا يمكن الإبداع في البيئة الاجتماعية ولا في "النصوص" الضيقة التي تشغل عليها الجماعة السوسيولوجية. الإبداع يبرع فقط على وهج الأقطاب، يتغذى من فوق، من البرنامج المافوق اجتماعي، الإبداع الحر، ومعه كل أسئلة الوجود وحياة الإنسان كلها تتحرك بين هذه الأعماق والأعالي، بين أعماق الطبيعة وبين الروح الربانية" (بنارين، 2003).

وفي المقابل يشير المفكر الإسلامي منصور المعدل في بحث مهم له تحت عنوان "الثقافة الإسلامية والسياسة": "يكمن التوتر في الفكر الإسلامي بين المثالي والفعلي، بين الروحي والزماني، الفضيلة والقوة، بين حكمة الله وسلوك البشر" (المعدل، 2004).

في العالمين الأرثوذكسي والإسلامي هناك الى جانب هذه الأحلام والحكم الفلسفية والدينية هناك العديد من القواسم المشتركة بينهما تجعل إمكانية الحوار واللقاء بينهما واسطة الآفاق وأذكر بعضها:

- 1- إن كل من الأرثوذكسية والإسلام ينتميان إلى روح وفلسفات الشرق.
- 2- إن العالم الأرثوذكسي والعالم الإسلامي يملكان تراثاً إيمانياً يستند الى المبدأ الأزلي المؤمن بالإله الواحد الأحد. وكلاهما ثقافتهم الحياتية تعطي الأولوية للروحانيات على الماديات.
- 3- إن العالم الأرثوذكسي والعالم الإسلامي كانا وما زالوا يعيشان تقريباً بعيدين عن الاستفادة من منجزات الحداثة وما بعدها.
- 4- إن العالم الأرثوذكسي والعالم الإسلامي يحتويان على أوسع فئة من الناس المعذبين والمحرومين من خيرات هذا الكوكب المادية والمعنوية والمعلوماتية. ولعلمهم يتصدرون قائمة الذين لا يتنعمون بقيم العدالة والسيادة والكرامة.
- 5- إن العالم الأرثوذكسي والعالم الإسلامي قد يتصدران قائمة المتضررين من خطر الجوانب السلبية في العولمة الثقافية، وذلك نظراً لغنى الإرث الثقافي لشعوبهم ولتصاعد وتيرة الحالة العدوانية التي تفرزها الجوانب السلبية من العولمة المؤمركة حيالهما.

الخلاصة

المرتبجى

هناك مساحات ثقافية وفلسفية ودينية وروحانية وسياسية واقتصادية واسعة، يمكن الحوار العقلاني حولها والاتفاق معاً على رسم إستراتيجية تعاون وشراكة بين الطرفين في أكثر من مجال سأختصر في نهاية البحث الإشارة الى البعض منها:

على المستوى الفلسفي والديني والروحي هناك مسائل وجودية، تتمكن الطاقات المبدعة في العالمين الأرثوذكسي والإسلامي أن تخوضها بشفافية وعمق نظراً للمخزون الثقافي والديني

العميق للشخصيتين الحضارتين، منها الأسئلة المتعلقة بالحياة والموت، المغفرة والمسؤولية، الألم والسعادة، الخلاص الفردي والخلاص الجماعي، الحياة الدنيا والحياة الآزلية وغيرها من الأسئلة الكبرى الوجودية التي تفلق إنسان اليوم. فالخوض في غمار هذه المسائل وتعميق الحوارات حولها ليس هدفه الترف الفكري والاعتناء الثقافي والروحي لأولئك الذين يهتمون بمثل هذه المسائل بل إن أهميتها القصوى تكمن في السعي الدائب لإغناء العلاقات الإنسانية والروحانية المتبادلة بين العالمين الأرثوذكسي والإسلامي.

والأمل المرتجى المطلوب من الطاقات الفكرية والسياسية المتواجدة في المؤسسات الدينية والدنيوية عند الأرثوذكس والمسلمين هو السعي الدائب من أجل أن يقدم المسيحي – الأرثوذكسي صورة للإسلام يتمكن المسلم فيها من رؤية نفسه فيها، وأن يقدم المسلم بدوره صورة يستطيع الأرثوذكسي – المسيحي أن يرى نفسه فيها. وهناك مزاج إيجابي وإسلامي مبشر بالأمل متواجد في أكثر من بقعة من البقاع الواسعة التي تتواجد فيها جماعات مؤمنة وذوات مفكرة علمانية وغير علمانية من الطرفين في الأرجاء الواسعة للعالمين الأرثوذكسي والإسلامي.

إن كل من العالم الإسلامي والعالم الأرثوذكسي وبما يشمله مجالهما الشاسع من تنوع ديني إنتي وثقافي، يشكلان مختبراً ساخناً لحوار أو تصارع الثقافات والأديان، والمصالح والأمال، فإن هذين العالمين بحاجة إلى تقارب أقرب وأوثق بينهما، لأن منطق المصالح ورسم الاستراتيجيات العقلانية والواقعية المفيدة للطرفين قد تفرض حالها على سياق العلاقة بينهما. ففي هذا السياق يقول الأكاديمي الروسي ألغ كولوبوف: "إن العامل الإسلامي حاضر في تجديد روسيا. ومن الأهمية بمكان أن تدخل روسيا المعاصرة في جنباتها كل الطاقة الإيجابية للإسلام من أجل حل الكثير من المهام الاقتصادية والحياتية في ميادين مثل الحقوق والسياسة والثقافة وغيرها" (كولوبوف، 1997).

والشيء الذي يطمئن النفس ويعزز الثقة بالمستقبل هو تكاتف وتعاون بعض الفعاليات في العالمين من أجل تكوين أساس واقعي للتعاون الشامل بين الحضارتين. وهذا يستدعي بلا شك تكوين الآليات أو المؤسسات أو مراكز الحوار بين كل دولة وأخرى وبين المؤسسات غير الحكومية، وبالذات في تلك الأماكن التي تتعايش فيها المجموعات الأرثوذكسية والإسلامية، على أن يكون الهاجس الأساسي للذين يشرفون عليها هو إدخال الطمأنينة الحياتية والنفسية لوضع الأقليات الأرثوذكسية وسط الأكثريات الإسلامية ولوضع الأقليات الإسلامية وسط الأكثريات الأرثوذكسية. وهناك مبادرات ونشاطات هامة جداً تقوم بها العديد من الوزارات أو الجمعيات والشخصيات المرموقة من الحضارتين على أكثر من مستوى وصعيد، لا يمكن هنا التوقف في هذه العجالة على معظمها إلا إنني أذكر واحدة واعدة منها يحركها، مشكوراً كل من الدبلوماسية والعالم الروسي السفير المكلف من قبل وزارة خارجيته للتعاون بين روسيا والعالم الإسلامي الدكتور فنجامين بوبوف والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي البروفسور التركي إكمال الدين إحسان

أغل، فهذان المسؤولان يعملان بنشاط ملحوظ ومشكور، مع فريقهما، من أجل تقارب واقعي أوثق بين العالمين (بوبوف، 2005).

وأكثر الأمثلة هنا من روسيا لأن فيها الجماعة الأرثوذكسية الأكبر في العالم، وعلى أساس موقفها وتنسيقها مع أخواتها في الجماعات الأرثوذكسية المتواجدة في المحيط الإسلامي، تتحدد الكثير من معالم طرق التعاون والشراكة بين العالمين الأرثوذكسي والإسلامي. وفي هذا السياق تلعب المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني في كل من تركيا والمملكة العربية السعودية و إيران ومصر ولبنان وسوريا واليونان وغيرها من البلدان التي تشكل الروح الإسلامية والأرثوذكسية جزءاً لا يتجزأ من تكوين شخصيتها الثقافية، في تحول الكثير من الأحلام والرغبة الطيبة والمرجوة إلى لقاء أقرب وأدفاً بين الحضارتين إلى واقع حياتي.

وقد يكون خاتمة المرتجى هو التأكيد على واحدة من أبرز المهام، التي ينبغي على الحاكم والمحكوم، المؤمن والعلماني في كل من العالمين الأرثوذكسي والإسلامي أن يطرح على نفسه الأسئلة التالية حولها: إلى أي حد نعمل جميعاً من أجل تحقيق مفاهيم المعرفة العقلانية ومبادئ العدالة الاجتماعية وتوسيع مساحة الأخلاق والتضامن مع المحرومين والمعذبين في المدى الحضاري الإسلامي والمسيحي وفي كل العالم؟ الأهم من هذا كله هو أسهام الجميع في الأخوة الإنسانية العامة من أجل تعميق أواصر المحبة والعدل والسلام بين سكان هذا الكوكب الذي نعيش عليه معاً؟

المصادر

1. خضر، ج. (1994). العلاقات الإسلامية – المسيحية: قراءة في الراهن والمستقبل. مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق. بيروت. ص. 209.
2. النهار. 15 أيلول، 2002. ص 11
3. م. أركون. (1996). نافذة على الإسلام. دار عطية للنشر، بيروت. ص. 232.
4. الكتاب المقدس العهد القديم والجديد. مسترجع من https://st-takla.org/Holy-Bible_.html
5. القرآن. (2008). بيروت.
6. Идрисов У. Современный Ислам в диалоге культур. Нижний Новгород. 1996. С. 3- 4.
7. Панарин А. Православная цивилизация в глобальном мире. М.: Издательство «Алгоритм», 2003. 147 с.
8. المعدل، م. (2004). الثقافة الإسلامية والسياسة. مجلة "إيران والعرب" عدد 9، بيروت. ص. 46.
9. Колобов О. Русский вопрос и исламский фактор. Из книги «Ислам на пороге XXI века». Нижний Новгород, 1997, С. 5.

10. Попов В. Исламский мир и Россия – движение навстречу. Азия и Африка сегодня. № 2, 2005. С. 31-34.

BIBLIOGRAPHIC REFERENCES

1. Khodr, G. (1994). *Islamic-Christian relations: reading the present and the future*. Center for strategic research, development and documentation. Beirut. (In Arabic)
2. Newspaper "Al-Nahar" (2002, September 15). p. 11. (In Arabic)
3. Arkun, M. (1996). *Window on Islam*. Beirut: Publishing House "Atya". (In Arabic)
4. *The Holy Bible: Old and New Testament Scriptures*. Retrieved from https://st-takla.org/Holy-Bible_.html (In Arabic)
5. *Qur'an*. (2008). Beirut. (In Arabic)
6. Idrissov, U. (1996). *Modern Islam in the dialogue of cultures*. Nizhny Novgorod. (In Russian)
7. Panarin, A. (2003). *Orthodox civilization in the global world*. Moscow: Publishing House "Algorithm". (In Russian)
8. Al-Muad'dil, M. (2004). Islamic culture and politics. *Iran and the Arabs*, 9, Beirut, 46. (In Arabic)
9. Kolobov, O. (1997). Russian issue and Islamic factor. In *"Islam on the threshold of XXI century"*. Nizhny Novgorod. (In Russian)
10. Popov, V. (2005). Islamic world and Russia – the movement towards. *Asia and Africa today*, 2, 31-34. (In Russian)

Information about author

PhD Suhail Farah

Academician of Russian Academy of Education, Professor of Philosophy of civilization of Lebanese University, President of Open university "Dialogue of civilizations»

gsfarah@hotmail.com